الشاعر الراضي بالله العباسي (ت٣٢٩هـ) بين الاعتدال والحس القومي

د. محمود سهيل عبد الله

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

monaf.al.iraqi88@gmail.com

تاريخ الاستلام : ٢٠١٩/٥/١٩

تاريخ القبول : ٢٠١٩/٦/٢٠

الخلاصة :

يتناول هذا البحث ظاهرة الاعتدال والحس القومي في الشعر، متخذاً من شعر الخليفة الراضي بالله العباسي أنموذجاً، وقد حاول الباحث أن يثبت وجودها في أثناء تناول ديوان الشاعر الخليفة الراضي المجموع شعره من قبل سعدي عوض جخيم الزيدي، وهناك دراسة لم أحصل عليها هي جمع ودراسة وتحقيق ديوان الراضي بالله د. حسين عبد العال اللهيبي، ومن هنا جاء البحث موزعاً في مقدمة ومبحثين.

أما المقدمة فهي نبذة عن العصر وحياة الشاعر، والمبحث الأول الاعتدال في شعره، واهتم المبحث الثاني بدراسة الحس القومي ورمزية القصيدة عند الشاعرين (الراضي بالله وابن المعتز) بشعرهما وألحق البحث بخاتمة فيها ابرز النتائج التي توصل إليها الباحث، وقائمة المصادر والمراجع التي استعان بها الباحث.

الكلمات المفتاحية : ظاهرة الاعتدال ، الحس القومي ، الخليفة الراضي بالله العباسي

Poet Radi Al-Abbasi (329 H) Between moderation and national sense

Dr. Mahmoud Suhail Abdullah

Al-Mustansiriya University / College of Arts

Monaf.al.iraqi88@gmail.com

Receipt date: 19/5/2019

Date of acceptance: 20/6/2020

Abstract:

This study deals with the phenomenon of moderation and national sense in poetry, taking from the poetry of the Caliph al-Radhi, the Abbasid model. The researcher tried to prove its existence during the address of the poet caliph al-Radi's total poetry By Saadi Awad Jahim Al-Zaidi. Diwan Al Radi Allah Hussein Abdel-Al Al-Lahibi, hence the research is divided into the introduction and two topics

The second topic deals with the study of the national sense and the symbol of the poem among the poets (Radhi Allah and Ibn Al-Mu'taz) with their poetry. The research concludes with the conclusion of the most important findings of the researcher and the list of sources and references used by the researcher.

Key words: moderation phenomenon, national sense, Caliph al-Radi, God, Abbasid

المقدمة :

الراضي بالله، وكنيته أبو العباس، محمد بن جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد بن الأمير طلحة [١]، الموفق بن جعفر المتوكل بن محمد المعتصم بن الخليفة هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس[٢]، ولد سنة ٢٩٧هـ [٣]، في الدار المعروفة بالبدرية [٤].

بويع بالخلافة وكان عمره يقرب من الخامسة والعشرين بعد خلع القاهر بالله من الخلافة وتَّم إخراجه من سجن القاهر الذي بقي فيه طيلة سنة ونصف وتسلَّم الخلافة طوعاً[٥].

عاصر الراضي تاريخ الخلافة العباسية والأحداث الطارئة عليها من صراع داخلي وخارجي، وتحمل أعباء الخلافة إلى وفاته.

لقب محمد بن المقتدر بألقاب اقترحها الصولي له بـ(المرتضى) لكنه توخىَّ بأن الاختيار وقع على الراضي بالله لأن اسم المرتضى مطروق لابن المعتز، إذ لا يُسمّى باسم غيره [٦].

كان والده من خلفاء بني العباس الذين استشهدوا عند التدخل الأجنبي وهم (الأتراك)، إذ اعتمر العمامة السوداء، والبردة التي كانت للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو متقلد بسيف ذي الفقار وفي يده اليمنى الخاتم والقضيب ولاقى مصيره، وكانت خلافته ٢٤ سنة [٧].

ولعل هذا الأمر الجلل ألهب وجدان شاعرنا الراضي وجعله مترجماً لما يجيش بنفسه، حتى حظي بمنزلة مرموقة يحترمها العلماء والشعراء والأدباء، فكان شاعراً مجيداً ، وقد قال عنه الصولي (أطبع ملوك بني العباس شعراً)[٨].

كان الراضي جواداً سخياً يتقرب منه أهل العلم والأدب ومقرباً لهم بما يجودون به من علم ومعرفة، إذ تكاد جميع مصادر الأدب والتراجم والتاريخ تجمع على ذكر خصالهِ الحميدة، ولم تُشِرْ إلى انحراف سلوكي وأخلاقي لديه من غدرٍ أو خيانة.

إنَّ الشاعر الراضي بالله العباسي يُعَدَّ أحد أعلام عصره الذي شهد صراعاً سياسياً ومذهبياً أدى إلى تدهور شؤون الحياة ومع ذلك فإن المجموع الشعري له (٤٧٥) بيت شعر بـ(٧٣) قصيدة ومقطوعة. قام بجمعها الباحث سعدي عوض جخيم تحت عنوان (شعر الراضي بالله العباسي) (ت ٣٢٩هـ)، جمع ودراسة لعام ٢٠١٧ م.

المبحث الأول: سياسة الاعتدال عند الشاعر الخليفة الراضي العباسي:

لقد فاق الشاعر الخليفة الراضي سائر خلفاء بني العباس من إجراءات سياسية معتدلة ومدروسة وناجحة إزاء الاتراك وقوادهم المتسلطين على الحكم، إذ استطاع أن يقوض جذورهم بالقضاء على قادتهم من دون أن يشار إليه بأصابع الاتهام، وذلك من خلال القضاء على ابن رائق وهو أمير الأمراء في عهد الراضي ولكنه تمادى فاستطاع القضاء عليه من خلال (بجكم) التركي ولم تخلق له فجوة، وإنما صراع مع الفئات المتقلبة وذلك بشخصيته المميزة، فأشار بعد هزيمة "ابن رائق" أمام "بجكم"[٩]:

وفلقتْ حِيلي هامَ الرجال أرى والغيبُ يخُمِد ما أذكيتُ من نارِ
صممت عن صبوات يستجيب لها ناسٌ بأوتار لهو ثأر أوتارِ
وفل لذات لهوي جيش عارفتي وقلم العزم مني نقر أوتاري
حتى رحضت بتحريضي العدو على قتل العدو ثياب الذل والعارِ

ويبدو حذق الشاعر الخليفة الراضي وحكمته في مسايرة الأمور من دون الاصطدام مع الأتراك فاستطاع أن يقنع الناس أنه غير راضٍ أن يتحكم برقاب الأحرار رجلٌ من عبيد الترك وهو (بجكم) القائد، أن يبتعد بين الفئات المتصارعة وكذلك البيت التركي فقال في التعريض بقائده الذي خان الأمانة [١٠].

تكشفُ لي الأيامُ مِنك معايباً وقد جُرِّبَتَ لا شَكَّ أخزى المعايبِ
فأصبحتَ مقهوراً وعادتكَ نكبةٌ تشكي إليك الشَّوقَ شكوى الحبايبِ
وكنتُ إذا عاتٍ تعبَّتَ جَهلُهُ عبثتُ له بالمرهفاتِ القواضبِ
وكم من جليدٍ رامَ ما رُمتَ فانثنى وقد لبَّستَهُ متلفاتُ العقاربِ

والشاعر الراضي لم يَمِلْ إلى جهة سياسية وهو مذهبه في الاعتدال الذي يزينه الصبر والشجاعة والحلم، فقال معللاً ذلك [١١]:

وإنيَّ لذو صبْرٍ على رغْمِ حاسّدِي أفلقُ هامَ النائباتِ تعقُّبا
وأُغضِي على بعض الأذى فتثُيرني عواصِفُ ذنبِ الحلم شرقاً ومغربا
وكمْ من عدوٍ قد رعتُ لهواتُهُ منابتَ عِرضي فاستجابَ مُكذِّبَا

وثبتُ إليه ذا اعتزام وسطوتي على الظُلم لا يزدادُ إلا توثبا
وإني امرُءٌ تصفو مواردُ رأفتي وتَحْرُبُ سَطواي العَدُوّ المُحَرّبا

والراضي ذو ثقافة معتدلة بعيدة عن ثقافة البلاط العباسي والحاشية، فهي بعيدة عن روح العدائية بين المذاهب، فقال [١٢]:

لما برمت براحي وانقضى الأدبُ قرنتها بأناسٍ شأنهم إربُ
تراهم الدهر لا يروون من لغطٍ على المدامِ فلا التذوا ولا شربوا

بل هو يختار من يجالسهم وهم أهل المشورة وسداد الرأي لا يصيبه منهم سوءٌ وإضمارُ فتنةٍ فقال[١٣]:

فقل لمن يلهب الإهمالُ غرتَه استغنِ عن صدق إيقاعٍ بإنذارِ
لا تبسطنَّ رماحاً لا زِجاجَ لها إلى سيوف مطيحات بأعمارِ
وعِشْ بنية صدق تتدربها رَسْلَ الحياة بعُرْف لا بإنكارِ

إنَّ جلساء الراضي هم رسل حياة جعلوه يحمل مفهوماً إنسانياً متطوراً بعيد عن الصراعات المذهبية والتشجيع لها. وقد ظل صامداً بوجه أعدائه القرامطة وكل من تعاون معهم متجرعاً كأس المرارة لا يبالي صروف الدهر ، فقال [١٤]:

ولما أسا دهري واعتب بعدما تجرعت كأس الموت من نكباتهِ
ربحتُ ولم أرجع بصفقة خائبٍ وحظي موفورٌ بنجحِ عداتهِ

ومن سياسته المعتدلة التي لا يشوبها فساد ولم يدنس نفسه بالعيوب بل كان ذا عقل متنور وذا رأي سديد فقال [١٥]:

وَهَوَّنَ بعضَ ما ألقاهُ أَني نَقيُّ الجيبِ من دَنَسِ العيوبِ
إذا لم أوتَ مِنْ رأي مصيبٍ فما علمي بإضمارِ الغيوبِ
وكم ريب لصرف الدهر هابٍ جلاهُ النصرُ مِن رَبِّ مهوبِ

لقد منحَ اللهُ الراضي لصفتين التسامح والابتعاد عن صغار الأمور، يردنَ حياضهُ ببلوغ فكر لامست مهجته النقية، تحب الحسن وتكره السيء فلم يقع في مشاجرة أو مشادة كلامية أفسدت نيات رغبته بل شدت من أواصر المحبة والمودة حتى الذين يضمرون له العداوة وأشار إلى ذلك [١٦]:

وقالوا حليمٌ ولم أستطعْ برايةِ سطوٍ على الذنب نصبا
أأشهرُ سيفي على نابحٍ وأفرسُ للثأرِ قرداً وكلبا
إذاً لأرتوي من دمٍ حَدُّهُ ولا سارَ بالعدلِ شرقاً وغربا
وكم قد وطِئْتُ على فتنةٍ وثرت بأخرى فقضيتُ نحبا

لقد طرقت الحكمة والإيمان قلب الراضي منذ صباه فهو يرتاض من أهل الأدب الذين لا تلعب بهم ريح المذهبية والتعصب الديني، فجلس مكباً على المساواة، عازماً على دفن التشرذم والسياسة الرعناء التي امتطى صهوتها السابقون، فراح يُسلي نفسه في جمع الشمل ورأب الصدع والكفاح لأرجاع تاريخ أثيل لمملكة أجداده من هيمنة أضاعتها الصراعات دواءها الحكمة في القول والعمل فأشار إلى هذا [١٧]:

كل صفوٍ إلى كدرِ كلُ أمرٍ إلى حذر
ومصير الشباب للمـــوت فيه أو كِبَرِ
أيها الأمل الذي تاه في لجة الغرَرِ
أين من كان قبلنا درس الشخص والأثرِ

المبحث الثاني: الحس القومي في شعر الراضي بالله العباسي:

لقد تأثر الشاعر الراضي بعصره الذي انتابه الانهيار حيث امتدت له يد البؤس والذل مما قامَ به الجانون الأجانب في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لكن الضمير النقي في شاعرية مثل الراضي ظل المثال الراقي يحلق في السماء، فتطلعه إلى واقع يحياه بين جوانحه يدفعه الوصول إلى حلمه أدى به إلى الاعتدال في سياسته والتوق إلى إعادة خلافة مرموقة الجانب، فانصرف شعره في استنهاض الهمم، ووظفه كوسيلة دعائية سياسية عن رأي صادق من موقف البيت العباسي في قوله وبنسبه العربي الهاشمي الذي فجّره إحساسه القومي، إذ قال[١٨]:

فينا النبوة والخلافة حكمنا ماضٍ كما شئنا على الأيامِ
لا ينقضُ الأعداءُ مبرمَ أمرنا وبنا تَمَامُ النَّقضِ والإبرامِ

امضِ من الأجل المُعجِّلِ أمرنا يأتيكَ قبلَ الفِكرِ والأوهامِ

واتسع هذا الطموح ليقف بوجه سيطرة الأجنبي ورأى في نفسه المنقذ لتاريخ أثيل ضاع من عهد والده المقتدر وعمه القاهر بالله في اقتلاع صفحة الذل والهوان التي مزقت أوصال الخلافة العباسية، فنراه يُحمس ويفتخر ويثور بنسبه العريق من أبيه وأمه من نبعة المصطفى محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فهو يقول [١٩]:

لو أَنَّ ذا حسبٍ نالَ السماءَ بهِ نِلتُ السماءَ بلا كَدٍّ ولا تعِبِ
منا النبي رسول الله ليس له شبهٌ يقاسُ به في العجم والعربِ
فإن صدقتم فأعلى الخلق نحن وإن مِلتُمْ عن الصدق أعنقتم إلى الكذبِ

ونرجح أن العوامل التي دفعت الشاعر الخليفة الراضي إلى نظم تلك القصائد القومية بسبب الواقع السياسي المتردي وكثرة الفتن وما حدث من خلع خليفة وقتل آخر فصاح بأعلى صوته الافتخار بقومه [٢٠]:

أنا ابن الأُلى مِن هاشمٍ زِنْتُ هاشِماً كما زانها العباس قبلي نسيبها
سلي تخيري من كان طِفلاً ويافعاً فعزت به الدنيا وذلَّ خطوبها
ألم أَظِلِ الأمالَ علماً وسؤدداً وتفخرُ بي شبان فهرٍ وشيبها
لأني إن ظَلَّ الغريم غريمُهَا وإن فَحِم الخطابُ منها خطيبُها
وسيفي على أعدائها سيفُ نِقمه جريءٌ على الأعمارِ فيما ينوبها

لقد أصبح المكان ملجأ اشتياق الراضي وحنينه بوصفه موطن الأجداد ورمزه الموصول بالماضي والمليء بأعباء الحاضر فأراد بقصائدهِ التعبير عن عاطفة توحي بالحرمان والشوق إليه وهي (بغداد) و (سرَّ من رأى) ليأخذ منهما وجوده المعذب في القلب وارتباطه النفسي والروحي بإرث الأجداد ورمز الخلافة العربية وهذا ما سنراه في مدح بغداد [٢١]:

أعذَر لفظ المحب بالعذرِ واختلط السرَّ منه بالجهرِ
وسائل لا يزالُ عن خبري إسمع فما بي يجِلّ عن قدرِ
فارقتُ مغنىً مُذكراً بهوى يلذَعُ قلبي بعارِضِ الذكرِ

إنَّ الذكرى المحومة بالألم بـــ(سر من رأى) صادرة عن شاعرية أعطت بعداً تاريخياً وحباً موصولاً بقلب الشاعر الراضي، فهي تمثل الامتداد الوجداني في النفس والنسب فنراه يتغنى بسامراء وماضيها [٢٢]؛

بُسرَّ مَنْ را بلادٍ المُلكِ طاب لنا مُعَرَّسٌ عيشهُ باللهوِ منظومُ
أرضُ متى اختلست ألحاظها نظراً أهتاجَ ذو طربٍ وارتاحَ مهمومُ
والخيرُ والقصرُ والقاطول جنتها والجعفري بكفِ الدهرِ مزمومُ
منازلٌ أنستْ دهراً فأوحشها ظلمُ الزمانِ فمثلومٌ ومهدومُ

جاءت دلالة سامراء وبغداد، انفجاراً عاطفياً يلتقي في تعبيره عن الشوق إلى هذا المكان المقدس الذي يمثل الروح العربية.

وارتبطت صورة المرأة في مشاعر الراضي، فتظهر من خلال حديثه عن نفسه، ويرى الباحث وإن كان الحبيبة وجود ذاتي في نفسه فهي رمز خفي، ويتمنى الراضي أن يناله، كعامل ارتياح نفسي لما يعانيه من أوضاعهِ الخاصة بالخلافة قوله[٢٣]:

لا تأمنَي في زمان السوء غدرته فإنه مولعٌ بالغدر والغَيرِ
كوني ولا تبتغي منه على حذرٍ ومن يفوتُ صروف الدهر بالحذرِ
فاستعبرت ثم قالت جَدَّ هزلكَ بي إذ تدعي غلب الأحزان والفكرِ
ولم يزل حُبُها صعباً على أربي فيه المنيةُ أبراداً بلا صَدرِ
وكيف أعطف بالشكوى ورقتها قلباً أشد لدى الشكوى من الحجر

يتحدث الراضي عن صورة الحبيبة ويحذرها من غدر صروف الدهر فإن سمة الدهر هو تبدل الأحوال والصور، وفراق ممزوج بالعواطف التي ارتمت في أحضان المنية وما يعانيه من صراعات وفتن داخلية، فالحبيبة معادلٌ موضوعيٌ للخلافة، فالغزل والحب هو رمز الشباب والقوة والحيوية والطموح الذي يسمو له، لتحقيق أمانٍ في القلب هي عودة الزهو الرائع لدولة بني العباس.

ومن يقظات الحس القومي هو النداء بالفارس الذي لا ينام نومة الغافلين عن الثأر وإرجاع الحقوق المسلوبة لشفاء غليله من وترهِ وقاتلي أهله هم (الأتراك) في قوله [٢٤]:

كـــذاك مـــن تـــنهض الســـادات همتـــه لا يغمـــض العـــين مغلوبـــاً علـــى ثـــارِ
وربَّ خطـــب دجـــا ذل الجبـــان لـــه وقـــد فـــراه بأنيـــاب وأظفـــارِ
لـــم يحتنـــك ليلـــه حتـــى صـــدعت لـــه صـــبحا مـــن الـــرأي لا يعشـــي بـــه الســـاري

وهذا الإحساس الرائع عند الراضي مكنه من الخلاص من أذناب الأعاجم والذين سايروا الأتراك، فصرح بما في قلبه من استنهاض البطولة العربية الحقة.

وقد دفعه تطلعه القومي، أن يلومَ الدهر ونكباته، فهو يتحدث من سامراء وماضيها العريق، فهي مرجل الثورة على الواقع المزري ونداء الفتوة ولذا نراه يصرح بقوله [٢٥]:

أرجعـــةَ الـــدهرِ هـــل وعـــدٌ فآملـــه أم عطـــف عـــدلكِ مفقـــودٌ ومعـــدومُ؟
ومـــا شـــجاني كـــذكرى خِلتُهـــا حُلمـــاً كـــأنَّ قلبـــي لهـــا بالـــذكرِ مكلـــومُ
أيـــن الزمـــان الـــذي أســـهرت عـــاذلتي فيـــه وغـــودِرَ خصـــمي وهـــو مخصـــومُ؟

وهذه صورة لا تختلف عن سابقتها في إلقاء اللوم على صروف الدهر في قوله [٢٦]:

عجبـــت لصـــرف دهـــرِ صـــافياتٍ مكارهَـــهُ وعـــيشٍ لـــي مشـــوبُ
كـــأنَّ الـــدهرَ يطلبنـــي بـــذحلٍ فحظـــي منـــه إضـــراءُ الخطـــوبِ

ولنا وقفة خاصة في وحدة الروح القومية وبث روح الفروسية بين القواد والأمراء مهما كانت مشاربهم في قوله بحق (القائد التركي بجكم) الذي قضى على (ابن رائق) رمز الخيانة فأشاد به فقال [٢٧]؛

يـــا عُمـــدةَ الســـلطان ولِيـــث هـــذا الزمـــانِ
ومشـــتري الحمـــدَ منـــي بـــأوفر الأثمـــانِ
فككـــت أســـري مـــن كـــف طـــارق الحـــدثانِ
فأنـــت حـــرب عـــدوي وســـلم مـــن والانـــيِ

ومن ارتباط الراضي الوثيق بموطن عزه وفخره الذي لا يتسامى بغداد العروبة، إذْ زرعت في نفسه الإباء والاغتداء بالنفس والأمل الوهاج ليغيظ كيد المعتدين الذين ينصبون الشراك له وحبائل السوء لأضعاف همته. غير مبالين بشخصيته التي لا تنحني لغاصب وطالب ثأر، فنراه يُعرِّضْ (بأبن رائق) ويذكرهُ أن لا ينسى أن أمامه فتى عركته الأيام وصقلته التجارب فيقول [٢٨]:

صَغُرتَ عن الأمرِ الذي رمَتٌ فِعلهُ ... فطالعتني بالضغنِ من كل جانبِ
وأظهرتَ لي حُباً يطيفُ به قِلىً ... كخائبِ برقٍ في عِراضِ سحائبِ
أتعقد لي كيدَ النساءِ بمرصدٍ ... وإني فتيٌّ السِّنِّ شيخُ التجاربِ

وعلى الرغم كل العواصف والصراعات فإن الراضي لم ينثنِ عن الأمل الذي يحدوه إلى نيلِ الشرف العالي بإعادة شمس الخلافة المشرق بعد أفول دام بعد جده المتوكل، فهو عاص على كل مراوغ نصب شراكه ليصطاد روح العروبة ويُلبسُها كَفنْ الضياع فنراه ينادي بأعلى صوته [٢٩]:

ولما رأيت الدهر يخطب خطبه ... وأيامهُ تعدو عليَّ بنوباتِ
عصيتُ زماناً قد تجاسرَ صَرفهُ ... وأتبعت يومَ الهمِّ يوم لذاتِ
فيا ليتني أمضيتُ ما كنتُ عازماً ... عليه ليشفي داء صدري ولوعاتي

إذ نرى الراضي بقى مشدوداً إلى المجد رافع الرأس مع اشتداد علته ونزاعه الأخير مع الموت لا ينكفئ ويتردد ويصيبه اليأس وهذا من دلالات وثمرات الأبطال الذين ضحوا في سبيل العروبة والدين.

ومن جميل الإحساس المتنامي لدى شاعرنا مجالسته للعلماء والأدباء واستشارتهم في أمور دولته وهذا من حسن أدبه ومعرفته؛ قال المسعودي عن الصولي (ارتياضه بالعلم والقنوت والأدب وإشرافه على علوم المتقدمين وخوضه في بحار الجدليين من أهل الدراية والمتفلسفين)[٣٠]، فقال [٣١]:

لما برمت براحي وانقضى الأدبُ ... قرنتُها بأناس شأنهم إربُ
تراهم الدهر لا يروون من لغط ... على المدام فلا التذوا ولا شربوا

إن طموحه المترامي يريد أن يعيد مجد أمته وأهله ظلَّ يراوده حتى رمقه الأخير وهو يطلب الوثوب على صهوات الخيل تعانق المردينيات وكأن غبار الموت في ظلال السيوف فمسك في عرانين الأبطال الذين لم يضيعوا ملكاً فقال مخاطباً نفسه [٣٢]:

أيـــا نفـــسُ كـــوني بعـــد علمـــك والفحـــصِ على حَـــذرٍ وارضـــي مـــن الكـــلِ بالشَـــقصِ
ثقـــــي واعلمـــــي أنَّ الممـــــاتَ مُعَجَّـــــلٌ إلـــى كُـــلِّ ذي زُهـــدٍ عـــزوفٍ وذي حـــرصِ

يبدو لنا من هذا العرض القليل لملامح شاعر عاش بين أكناف القصور وروائح الورود وباحات الغناء في دياجي الليل، لم تؤثر فيه ولم تحد من روحه التواقه إلى ايمان عميق وثقافة تثير احساسه بعروبته تفرض منه صوتاً مدوياً مدافعاً عن الوجود العربي بمرآة تعبير وصياغة رائعة جاءت صدى لتوحده القومي.

رمزية المكان في قصيدة الشاعرين (الراضي وابن المعتز)

وقد تجاذبت أحاسيس الراضي بين الذكرى المقيتة في شكل تساؤلات الحائر الملتاع، يصور حالة الركون والانزواء. وإلى صورة النهوض بعبء كبير في استرجاع ماضٍ تليد.

هذه اللمسات الوهاجة تحولت إلى شكوى أليمه عند الخليفة الشاعر الراضي وعبد الله بن المعتز. إذ اتخذَ الأثنان (المكان) رؤية وجدانية تعبر عن موضوع واحد، فكلا الشاعرين عانى أزمة نفسية مؤلمة في مشاركة (سامراء) للراضي، و (بغداد) ابن المعتز لامتلاك همومها، فالراضي لاقى سوء معاملة من أخيه القاهر بالله أودعه السجن ورأى مقتل والده. أما ابن المعتز فرأى قتل أبيه من قبل الأتراك ومقتل جده المتوكل، وهذه بقيت محفورة في ذاكرتيهما. ولذا ألقت هذه النكبات في نفسيهما، فعاشا اللوعة، فتهيج سامراء أحزان الراضي أسمعه يقول[٣٣]:

كـــرى المـــلام فبـــاغي اللـــوم مخصـــومُ والـــدهرُ مُـــذ كـــان محمـــودٌ ومـــذمومُ
بســـرِّ مـــن را بـــلادِ الملـــك طـــابَ لنـــا معـــرس عيشـــهُ بـــاللهو منظـــومُ
أرض متـــى اختلســـت ألحاظهـــا نظـــراً أهتـــاج ذو طـــربٍ وارتـــاح مهمـــومُ
والحيـــرُ والقصـــر والقـــاطول جنتهـــا والجعفـــري بكـــفِّ الـــدهرِ مزمـــومُ
منـــازلُ أنسَـــتْ دهـــراً فأوحشـــها ظلـــمُ الزمـــانِ فمثلـــومٌ ومهـــدومُ
عَفَـــتْ وغيرَهـــا وصـــل الريـــاح لهـــا والوصـــل منهـــا بحبـــلِ الهجـــرِ محتـــومُ

إنَّ المكان في شعر الراضي صادر عن معاناة حقيقية من حيث التاريخ والنسب وهو ابن الذين أقاموا دعائم دولة بني العباس والمكان الذي اكتوى بلوعته بمقتل أجدادهِ. فأصبح امتداداً وجدانياً في نفسهِ، ومن حيث واقعه فإنه المسؤول الأول في قيادة أمة (خليفة المسلمين)، بقى مشدوداً بين الماضي وقلبه الواعي، ولعل ذكرى المكان عند الشاعر (الراضي) مركز باعث إثارة لكل ما يوحيه من استقرار نفسي وتمنٍ وهياج المشاعر والأفكار، لاستعادة الماضي إلى بديهة الحاضر تعويضاً عن انهيار أرخى سدوله برقاب الأجداد، فالأماكن التي وردت في قصيدة الراضي (سر من رأى) (الخير)، (القصر)، القاطول، الجعفري، هي مثار للعواطف والذكريات، وما لها من تداعيات، وكلماتها توحي إلى التمني والتعبير إلى الحسرة على شيء صعب حصوله، فانتهت بنبرة الوعي والقافية الجزئية، لما حلَّ الزمان بذلك الحلم المنشود.

أما ابن المعتز فقد جاءت قصيدته بصيغة استفهامية على ما وصل إليه التوق لشفاء غليلهِ ومحنته من شكوى أليمة، فإن ذكرى بغداد انفجار عاطفي فاسمعه يقول[٣٤]:

كيف نومي وقد حللتُ ببغدا ... د مقيماً في أرضها لا أريمُ
طال ليلي وسامرتني الهمومُ ... وكأني لكل نجمٌ غريمُ
ويح دار الملك التي تنفح المسك ... إذا ما جرى عليها النسيمُ
كيف قد أقفرت وحاربها الدهـ ... ـرُ وغنَّى الجنان فيها البومُ
فهي هاتيك اصبحت تتناجى ... بالتشكي خرابها المهدومُ
ربَّ خوف خرجت منه فزال الـ ... بأس مني وأقحم الترخيمُ

بثَّ ابن المعتز شكوى انفعالاته بذكريات بغداد، فهي تهيجه وكأنه مرتبط بالنجوم وتكثر فيه التساؤلات والاستفهامات التي تنهي بصورة طللية (أقفرت) وانتهت إلى الزوال- بهديل (البوم) دليل على الخراب، ولكن كلا القصيدتين تنتهي بنبرة الوعي لما حلَّ الزمان بذاك الحلم المنشود وشعرنا لهذا التأثير تلك القافية الحزينة.

الخاتمة:

اكتب المحطة الأخيرة في ختام مصير بحثنا ولا أدعي الكمال، إنما الكمال لوجه الواحد القهار، إذ ثبت للقارئ أن الراضي نظم شعره للإبداع الفني فهو أنموذجٌ كاشف عن لواعجه النفسية، التي لم تحدها جدران القصور وبهرجة الحكم بل هذب العمل الأدبي روحه بالتعالي على الواقع المتردي من خلال قصائده في الاعتدال وعدم الانطواء تحت مظلة المذهبية المقيتة والخشوع للأجنبي، إذ ارتبطت صورة الاعتدال بأحياء التراث العربي القديم، تحت نسق شعري فيه البطولة والفروسية العربية الأصيلة وكيفية الحفاظ عليها رغم المحن، وحسبنا أن ينتبه الغافلون إلى هذا الشاعر الذي وقف بوجه ضعف الخلافة والحركات الفوضوية كالقرامطة بالفتن، ودويلات مستقلة؛ إذ حاول جاهداً الحفاظ على كيان الدولة العباسية، وقد مارس طموحاته في مصارعة الانهيار. حتى أذن مؤذن في ردهات بغداد، فكانت وفاته في السادس عشر من شهر ربيع

الأول من سنة تسع وعشرين بعد الثلاثمائه. عن إحدى وثلاثين سنة وستة شهور، ومدة حكمه ست سنوات وعشرة أشهر وعشرة أيام، ودفن في تربة له في بغداد، في جانب الرصافة[٣٥]، وهكذا انتهت فصول حياته بين اعتداله وإحساسه بعروبته وانتمائه القومي.

الهوامش:

(١) مختصر التاريخ: تصنيف الشيخ ظهير الدين علي بن محمد البغدادي المعروف بابن الكازروني (ت ٦٩٧هـ)، حققه مصطفى جواد، وضع فهارسه وأشرف على طبعه سالم الآلوسي، مطبعة الحكومة، بغداد، ط١، ١٩٧٠.

(٢) الكامل في التاريخ؛ ابن الأثير: ٦/ ٣٦٧.

(٣) الوافي بالوفيات: ٢/ ٢٩٧.

(٤) مختصر التاريخ: ١٩٧.

(٥) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٤/ ٥٢٧.

(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ٦/ ٢٤٢.

(٧) المصدر نفسه : ٦/ ٢٤٢.

(٨) اخبار الراضي بالله والمتقي لله: ١٩١.

(٩) شعر الراضي بالله العباسي: ٣٧.

(١٠) المصدر نفسه : ٧.

(١١) المصدر نفسه : ٢٠.

(١٢) المصدر نفسه : ٣.

(١٣) المصدر نفسه : ٣٧.

(١٤) المصدر نفسه : ٢٢.

(١٥) المصدر نفسه : ٨.

(١٦) المصدر نفسه : ١٥.

(١٧) المصدر نفسه : ٣٨.

(١٨) المصدر نفسه : ٦٩.

(١٩) المصدر نفسه : ١٣.

(٢٠) المصدر نفسه : ١٦.

(٢١) المصدر نفسه : ٤٠.

(٢٢) المصدر نفسه : ٧١.

(٢٣) المصدر نفسه : ٤٥.

(٢٤) المصدر نفسه : ٣٧.

(٢٥) المصدر نفسه : ٧.

(٢٦) المصدر نفسه : ٨.

(٢٧) المصدر نفسه : ٧٢.

(٢٨) المصدر نفسه : ٧.

(٢٩) المصدر نفسه : ٢٤.
(٣٠) مروج الذهب ومعادن الجوهر: ٤/ ٥٣٢.
(٣١) شعر الراضي بالله العباسي: ٣.
(٣٢) شعر الراضي بالله العباسي : ٥٣.
(٣٣) المصدر نفسه : ٧١.
(٣٤) ديوان شعر ابن المعتز، ج١/ ١٧٢.
(٣٥) الكامل في التاريخ: ٨/ ١١٨.

References

- The Holy Quran

1- A brief history by Sheikh Zuhair Al-Din Ali bin Muhammad Al-Baghdadi, known as Ibn Al-Kazarouni, compiled by Mustafa Jawad, printed by his catalogs and supervised by Salem Al-Alusi, government printing press, Baghdad, first edition, 1970 A. D.
2- Adequate mortality, Salah al-Din Khalil bin Ibaik al-Safadi, with care. Deder Ying, Franz Press, Stapes-Benisbon, second edition, 1974.
3- Al-Kamil in History, Ibn al-Atheer, Abu al-Hasan Ali ibn Abi al-Karim Muhammad al-Shaibani, Bil Printing Press, Beirut, (without history).
4- Al-Radi's Poetry by Allah Al-Abbasi (329 AH), Collection and Study - Saadi Awad Jahim Al-Zaidi, MA, Al-Mustansiriya University, College of Arts - Department of Arabic Language, 2017.
5- Diwan of the Poetry of Ibn Al-Mu'taz, Abdullah Bin Al-Moataz (296 AH), Dar Sader, Beirut, (without history).
6- Meadows of Gold and Essence Minerals - Al Masoudi, Abu Al Hassan Ali Bin Al Hussain Ali Bin Al Hassan Bin Ali. Take care of her, Dr. Youssef Al-Beqai, The Arab Heritage Revival House, Beirut, Lebanon, First Edition, (without history).
7- News of Al-Radhi, by God Almighty. And the history of the Abbasid state from (322 - 333 A.H.), from the book of papers to Abu Bakr Muhammad bin Yahya Al-Suli. Hayworth bin Dar Al-Messir Beirut, Lebanon, second edition, 1979 A.D.
8- Regular in the History of Kings and Nations - Ibn Al-Jawzi, Sheikh Imam Abi Al-Faraj Abdul Rahman bin Ahmed, National House, Baghdad, 1990.